اللغة العربية في الصين

- من بين المسلمين إلى أنحاء البلد

المؤلفون: علي وانغ دي جون، عبد الحكيم ميان جين لونغ، حليمة دينغ تينغ

الجزء الأول: التاريخ العريق للتبادلات العربية الصينية.

إن تاريخ التبادلات العربية الصينية عريق جدا، وفي عام 139 قبل الميلاد، بعث الامبراطوري الصيني رسوله زهانغ قيآن إلى المناطق الغربية، فوصل إلى الدول الواقعة في آسيا الوسطى، ومع أنه لم يصل إلى غربي آسيا، فقد سمع الكثير من الأحوال عن تلك المنطقة، ويذكر في كتاب تاريخي مشهور شي جي (تسجيل التاريخ) الذي تم تأليفه في عام 104-91 قبل الميلاد منطقة تياو زهي وتلك المنطقة هي المنطقة العربية التي تشمل الخليج والعراق، وفي عام 97م، بُعِث قان يينغ إلى مصر وسوريا، ورجع حينما وصل إلى الخليج.

فذلك أول تسجيل للتبادلات بين الصين والدول العربية.

وقد ذكر المؤرخ العربي المشهور أبو حسن المسعودي في مؤلفه ((مروج الذهب ومعادن الجوهر)) أن السفن التجارية الصينية كانت تقوم بزيارة الخليج في القرن السادس الميلادي، وتدخل من الخليج إلى نهر الفرات، وترسي قرب مدينة هرات ليقوموا بالتجارة مع العرب في تلك المنطقة، وكل هذه تدل على أن التبادلات بين الصين والدول العربية قد بدأت قبل أسرة تانغ الملكية بكثير.

وفي الزمن القديم، كانت أغلبية التبادلات بين الصين والدول العربية هي التجارة، وكان ينقلون الحرير والأوان الصينية إلى الدول العربية بطريقين وهما: الطريق البري والبحري اللذان

يسمان بطريق الحرير وطريق العطر. من (كتاب أسرة تانغ) قيل إن ملك دا شي بعث رسوله إلى الصين عام 651م، وقال الرسول إن دولته قد تأسست منذ أكثر من ثلاثين سنة، والامير الحالي هو الثالث، فكان الامير الذي ذكره الرسول هو الخليفة عثمان بن عفان، وأثبت من الكتب التارخية أن العرب قاموا ببعث الرسول إلى الصين 37 مرة وذلك من عهد خليفة عثمان إلى العباسية.

وباختصار، يمكننا أن نستنتج أن تاريخ التبادلات بين الصين والدول العربية عريق، وقد أجاد الصينيون اللغة العربية للتبادلات مع العرب في أسرة تانغ الملكية والتي يرجع تاريخها إلى القرن السابع والثامن الميلادي.

الجزء الثاني: اللغة العربية في تاريخ الصين القديم

مع تعزيز العلاقة بين الصين والدول العربية ودخول الإسلام إلى الصين، بدأ العرب يأتون إلى الصين بكثرة ومن أشهرهم الصحاب المشهور سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، الذي قيل إنه من أوائل المسلمين العرب المهاجرين إلى الصين لتبليغ الإسلام، وقبره موجود في مدينة تجارية مشهورة - مدينة قوانغ زهوو بجنوب الصين، فمنذ ذلك الوقت، بدأ الصينيون يتعاملون مع العرب ويتعرفون على دينهم، ومن ثم تزوج المسلمون العرب من النساء الصينيات، ونشأوا بيوتا في الصين، فمع ازدياد عددهم، تشكلت أحياء المسلمين في بعض المناطق في الصين، ولكن عددهم ما زال قليلا جدا مقارنا مع عدد سكان الصين الضخم، فمن أجل المحافظة على إيمانهم، بدأ المسلمون يبنون المساجد في أحياءهم، فأصبحت هذه المساجد مراكزا دينية وتعليميا، حين يرسل المسلمون أطفالهم إلى المساجد لتعلّم تلاوة القرآن الكريم وحفظه، وعلوم دينية أخرى مثل الحديث الشريف، والآداب الإسلامية، والعبادات وإلخ، وكانوا يتعلمون في المساجد باللغة العربية، ومع ازدياد العدد المتعلمين، وجد المدرسون والعلماء أن بعض الدارسين لا يجيدون اللغة العربية، فاضطروا إلى أن يجدوا طريقة لحل صعوبات هؤلاء الطلاب في فهم شرح المعلم، فبدأ يتعلم بعضهم اللغة الصينية، ليعلموا المسلمين الصينيين الذين لا يجيدون اللغة العربية في

وقته. هذا هو التعليم المسجدي كما يسمونه المسلمون الصينيون، بسبب الخصائص السكنية للمسلمين الصينيين، فكلهم يبنون البيوت حول المساجد، فمن السهل أن يتعلموا في المساجد، والمساجد كذلك مفتوحة لجميع المسلمين، وكان- وإلى الآن، فإن التعليم في المسجد وسكن الطلاب في المسجد كلها مجانا، مما وفر فرص التعليم لجميع المسلمين سواء أ كان غنيا أو فقيرا.

الجزء الثالث: تعليم اللغة العربية في الصين في الوقت الحالي

كان تعليم اللغة العربية في الصين يقتصر في المساجد فقط، وفي عام 1943م، تخرج العالم المشهور الصينى السيد نا زهوو (عبد الرحمن) من جامعة الأزهر ورجع إلى الصين، فبدأ يعلم اللغة العربية في جامعة مركزية (جامعة نان جينغ حاليا)، وهو كذلك ألف أول كتاب لتعليم اللغة العربية لجامعات صينية، فهو أول من يعلم اللغة العربية في الصين على مستوى جامعية.

وفي عام 1946م، أسست جامعة بكين قسم اللغة والآداب الشرقية وعين السيد ما جيآن (محمد مكين) ليكون بروفيسر اللغة العربية، فجامعة بكين هي أول جامعة صنيية التي أسست قسما خاصا لتدريس اللغة العربية، ومنذ ذلك الوقت، دخلت اللغة العربية إلى جامعات صينية !

بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية في عام 1949م، تعززت التبادلات الاقتصادية والثقافية بين الصين والدول العربية، وخاصة في عام1956، أسس مصر علاقة دبلوماسية مع الصين، بدأ العلاقة الصينية العربية تتطور بسرعة، وفي نفس العام، بدأت وزارة التربية والتعليم الصينية تبعث الطلاب المبعوثين ليتعلمون في جامعة الأزهر بمصر، وبدأت الوزارة تؤسس قسم اللغة العربية في جامعات صينية عديدة.

ومع التطوير المستمر لتبادلات الصينية والعربية، شهد تعليم اللغة العربية في الصين تغيرا هائلا. ويمكن الآن أن تقسم تعليم اللغة العربية في الصين في الأشكال التالية:

1- تدريس اللغة العربية في الجامعات

حيث يتعلم الطلاب الجامعيون اللغة العربية كتخصص، ويحصلون على شهادات للغة العربية وأدبها. وعدد الجامعات الصينية التي قد أسست قسم اللغة العربية فيها 20 تقريبا، وبعض

الجامعات مثل جامعة بكين وجامعة الدراسات الأجنبية ببكين وجامعة الدراسات الأجنبية بشانغهاي تمنح شهادة الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية، فلم تعد اللغة العربية لغة خاصة بالمسلمين فقط، وهي كذلك أصبحت لغة أجنبية كالانجليزية والفرنسية والروسية التي يتعلمها الجميع، ونسبة الطلاب المسلمين منهم مختلفة من جامعة إلى جامعة ومن منطقة إلى منطقة، في جامعة الدراسات الأجنبية ببكين مثلا، نسبة المسلمين من بين دارسي اللغة العربية 2% أو 3%، وفي بعض الجامعات في منطقة المسلمين مثل جامعة القوميات بشمال غربي الصين، فتصل نسبة المسلمين من بين دارسي اللغة العربية 50%، يتعلم الطلاب مواد مختلفة في هذه الجامعات ومنها: علم الأصوات والقواعد (الصرف والنحو) والقراءة والمطالقة والمحادثة والاستماع والترجمة والأدب العربي والتاريخ العربي الإسلامي والإنشاء والبلاغة وإلخ. ومعظم الخريجين من الجامعات يعمل في جهات حكومية كالوزارة الخارجية والسفارات ومحطات التلفاز والإذاعة والجامعات والشركات الكبرى.

2- تدريس اللغة العربية في مدارس ومعاهد إسلامية

إن التعليم في هذه المدارس والمعاهد مختلفة عن الجامعات وهي كذلك مختلفة عن المساجد، في عام 1955، تأسس معهد العلوم الإسلامية الصيني بموافقة حكومة الصين، ويركز فيه تدريس المواد الإسلامية وكذلك المواد الأدبية مثل الجامعات الأخرى، ومن الثمانينات إلى التسعينات من القرن العشرين، مع تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح في الصين، تأسس تسع معاهد للعلوم الإسلامية في مناطق مختلفة في الصين، فهذه المعاهد تلعب دورا مهما في إعداد المواهب للغة العربية في الصين أيضا. ويعمل معظم الخريجين من المعاهد الإسلامية في شركات تجارية بجنوب الصين.

والجدير بالذكر أن بعض العلماء المسلمين الصينيين قاموا بتأسيس مدرسة تشنغ دا لإعداد المدرسين في عام 1925م، وهي تعتبر نموذجا جديدا لتعليم العلوم الإسلامية في الصين، ومعنى الاسم تشنغ دا هو تشكيل الأخلاق الحسنة وإعداد الأكفاء، وكان غرض المدرسة إعداد المدرسين

المؤهلين، وإلهام عقول المسلمين، وشرح ونشر الثقافة الإسلامية. وكان المناهج الدراسية فيها تختلف عن الأنماط القديمة، فهي لا تهتم بتعليم تلاوة القرآن الكريم وحفظه فحسب، بل كانت تهتم بفهم الطلبة الكامل للقرآن الكريم والحديث الشريف، وتؤهلهم بقدرة الدراسات والبحوث في الفلسفة الإسلامية والشريعة الإسلامية والأخلاق وتاريخ الإسلام وإلخ، وفيها مواد جديدة مثل اللغة الصينية كما تدرس في المدارس الأخرى وتاريخ الصين والجغرافيا، والعلوم والأحياء وعلم التربية والتعليم حتى علم النفس بالإضافة إلى المواد الدينية، في عام 1929، انتقلت المدرسة إلى بيبينغ (مدينة بكين حاليا)، وأنشأت المجلة يوي هوا بتأييد المسلمين من فئات المجتمع. فكانت دائما ما تدعو أئمّة المساجد والعلماء من مجالات مختلفة لإلقاء محاضرات علمية في المدرسة. وفي عام 1932، تخرج الطلاب من الدفعة الأولى، فبُعث بعضهم إلى جامعة الأزهر بمصر لإكمال الدراسة، وكانوا أوائل الطلاب الوافدين في تاريخ الإسلام الصيني، والبعض الآخر تعينوا أئمّة المساجد، وبعضهم أُرسِلوا إلى شمال غربي الصين لتعليم المسلمين هناك، فهذه المدرسة قد لعبت دورا مهما جدا في التعليم الإسلامي في الصين وتعليم المسلمين وكذلك تدريس اللغة العربية في الوقت الحالي. وفي عام 1932، قام الإمام ما سونغتينغ بزيارة مصر لقبول الكتب المتبرعة من ملك مصر فؤاد، وبعد رجوعه إلى الصين، قام بتأسيس مكتبة فؤاد الأول في المدرسة. ومع حدوث الحرب احتلال اليابان للصين، انتقلت المدرسة إلى مدينة قويلين بجنوب الصين ومن ثم انتقلت إلى المدينة تشونغقينغ في عام 1944 بعد احتلال اليابان على مدينة قويلين، وانتقلت إلى بكين مرة أخرى بعد انتهاء الحرب في عام 1945، وفي عام 1949، قامت حكومة جمهورية الصين الشعبية بتجميع المدرسة مع ثلاث مدارس أخرى في بكين، وأسست المعهد الإسلامي الوطني لكي تستمر في مساهدة إعداد الأكفاء المسلمين في الصين.

3- تعليم اللغة في المدارس الإعدادية والثانوية

عدد هذه المدارس قليلة جدا ومعظمها موجودة في مناطق المسلمين، وذلك تلبية للحاجة إلى تعليم اللغة العربية في تلك المناطق.

4- تعليم اللغة العربية في المساجد

وهو التعليم المسجدي كما سماه المسلمون الصينيون، ويتعبر استمرار للتعليم المسجدي في الزمن القديم،

تدرس في المساجد العلوم الإسلامية بالإضافة إلى اللغة العربية. ولكن المدرسين يهتمون بالمطالعة أكثر من المحادثة، وذلك من أجل قراءة وفهم القرآن الكريم والتفسير وغيرها من الكتب الدينية، فنجد معظم الطلاب الذين يتعلمون في المسجد يفهمون مضمون الكتب ولكنهم لا يقدرون على المحادثة مع العرب. ويعمل معظم الخريجين من المساجد أئمّة في المساجد.

5- دورات اللغة العربية

تنعقد هذه الدورات لأغراض مختلفة، بعضها تدرس الموظفين المبعوثين إلى الدول العربية، وبعضها من أجل حاجة الجمهور في الدين، لذلك فترة الدورات مختلفة أيضا، بعضها لمدة شهر أو شهرين وبعضها لمدة نصف سنة أو سنة.

وبالإضافة إلى كلما ذكرناها من قبل، تبحث الجامعات والمعاهد الصينية كل سنة طلابا ممتازين إلى الدول العربية للدراسة في جامعاتها، فهؤلاء الطلاب يعتبرون جسرا للتبادلات العربية الصينية في الزمن الحالي.

الجزء الرابع: اللغة العربية في مجالات مختلفة

1- انتشار الأدب العربي في الصين

قام علماء وأساتذة اللغة العربية في الصين بترجمة كثير من الكتب والمؤلفات العربية المشهورة إلى اللغة الصينية، ومنها القرآن الكريم ورياض الصالحين وصحيح البخاري ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، وديوان جبران خليل جبران، والأيام من طه حسن، والثلاثية وأطفال حارتنا من نجيب محفوظ، وفجر الإسلام وضحى الإسلام من أحمد أمين وغيرها، وقد تعرف القراة الصينيون على الدول العربية وشعوبها وتقاليدها من خلال هذه المؤلفات المترجمة الممتازة، مما ساهمت في تعزيز التبادلات وتعميق التفاهم بين الشعبين الصيني و العربي.

2- قناة اللغة العربية في محطة التلفزيون والإذاعة

1) إذاعة الصين الدولية هي واحدة من إثنتي شبكات إذاعية مملوكة للدولة في جمهورية الصين الشعبية. في الثالث من ديسمبر 1941 بدأت إذاعة الصين بث برامجها للخارج. تهدف إذعة الصين الدولية إلى دعم التفاهم وبناء جسور الصداقة بين أبناء الشعب الصيني والشعوب الأخرى حول العالم. تبث إذاعة الصين الدولية برامجها في 289 ساعة يومياً حول العالم في 43 لغة. تغطي برامج الإذاعة مواضيع الأخبار، والأحداث الجارية، السياسة، الاقتصاد، الثقافة، والعلوم والتقنية، وأسس القسم العربي بإذاعة الصين الدولية في 3 نوفمبر عام 1957. بدأت البرامج الإذاعية في القسم العربي على فترتين يومياً، وكانت كل فترة تستغرق ثلاثين دقيقة.وفي عام 1959 بدأت الإذاعة على فترتين يومياً، وكانت فترة البث تستغرق ساعة واحدة. في عام 1981 ازدادت ساعات البث إلى ثلاث ساعات يومياً. وفي 28 مارس من العام أطلقت إذاعة الصين الدولية برنامجها العربي الداخلي في قناة FM88.7 على نطاق بكين، ويستمر بث البرنامج الإذاعي ساعة واحدة كل يوم.

2) وفي يوم 25 يوليو عام 2009، بدأت محطة التلفزيون المركزية الصينية العربية الدولية بثها باللغة العربية، وذكرت أنها تهدف للحفاظ على روابط أقوى مع الدول العربية، والقناة الجديدة ستكون بمثابة جسر هام لتعزيز التواصل والتفاهم بين الصين والدول العربية.

تصل قناة إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عن طريق قمري عرب سات بدر 6 ونايل سات 103، وإلى أوروبا عبر Eurobird 9، ومنطقة آسيا والمحيط الهادئ عبر قمر شاينا B6، والقناة مفتوحة للجمهور عن طريق استخدام البث الفضائي.

3) المجلات والجرائد

الصين اليوم هي مجلة أسستها عام 1949 سونغ تشينغ-لينغ، تصدر بالصينية، العربية، الإنجليزية، الإسبانية، الفرنسية، والألمانية. تنشرها دار مجلة الصين اليوم التابعة للمجموعة الصينية للنشر الدولي. تعمل المجلة على نشر وجهة نظر إيجابية عن جمهورية الصين الشعبية

وحكومتها.

وأقبل كثير من معلمي ودارسي اللغة العربية على تعميم دراسة اللغة العربية في الصين، وعلى سبيل المثال أن لجنة اللغة العربية لجمعية الترجمة بمقاطعة شانشي أسسوا جريدة الكترونية باسم هواة العربية، فيمكن للمستخدمين تنزيلها عبر طريقة الانترنت بسهولة مما ساعد دارسي اللغة العربية في التبادل.

وفي الأخير وبخلاصة القول، نقول إن اللغة العربية قد مرت فترة تاريخية طويلة في الصين منذ دخولها إلى هذه الدولة القديمة، وشهدت تغيرا كثيرا خلال هذه الفترة، من قبل ألف سنة إلى القرن الحادي والعشرين، خرجت اللغة العربية من مساجد المسلمين إلى جامعات صينية، وانتشرت تعلمها من بين المسلمين إلى جميع الشعب الصيني، واتسع نطاق استخدامها من العلوم الدينية إلى الإعلام والانترنت فهي قد وصلت إلى قمة ازدهارها في الوقت الحالي، فنتمنى لهذه اللغة الجميلة مستقبلا مشرقا في هذه الدولة الجميلة، ونتمنى لهذه الزهرة الرائعة أن تتفتح في بستان الصين وتنشر رائحتها الطيبة البديعة إلى قلوب الشعب الصيني!